في كل ليلة حكاية

١٧

لا تشبههم الأسود

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مِنَ الفَوائِدِ والدُّروسِ!!

كَانَ الشَّبابُ والفَتَياتُ يَنتظِرونَ بَرنامَجاً تِلفزيُونياً، يتحدَّثُ عن نَمَاذِج ممَّا حدَثَ في تَاريخنَا الإسلاميِّ.

وَقُبيلَ المَوعدِ قَالَ (سَعيدٌ): مَاذا سَيتَحدَّثونَ لنَا فِي هَذهِ اللَّيلةِ يا تَرى؟

وَاقترحَ (أَحمدُ) أَمراً مَا.. بينَما توقَّعتْ (سَمِيرةُ) أَن يكونَ الحَديثُ عَن (صُهيبٍ الرُّوميِّ)، وَكانَ تَوقّع (أَنور) أَن يكونَ الحَديثُ عَن العهدِ العبَّاسيِّ و...

ولمَّا ابتدأَ الحَديثُ، كَان أَمراً آخَر غَير الذي توقَّعوهُ.. وَمُلخَّص الحَلقةِ كَما يَلي:

فِي عَهدِ أَميرِ المُؤْمنينَ عُمَر رَضيَ اللهُ عنهُ أَرَادَ أَن يَغزُوَ بلادَ الفُرس.. وَاستشَارَ كِبارَ الصَّحابةِ ، وأَجمعَ الرَّأي على ذَلكَ.

وَألحَّ الفَاروقُ عُمَر أَن يكونَ هُو بنفسهِ قَائدَ الجَيشِ الإسلاميِّ.

لكنَّ عبدَ الرَّحمن بنَ عَوف رَضيَ اللهُ عنهُ كانَ لَه رَأيٌ آخَر:

لَقدْ قَالَ كَلاماً دَقِيقاً رَائعاً:

يَا أميرَ المُؤمِنين! إنِّي أَخشى إن كُسِرْتَ أَن يَضعفَ المُسلمونَ فِي سَائِر أَقطارِ الأَرضِ ، وَإنِّي أَرى أَن تبعثَ رَجُلاً وتَرجِع أَنت إلى المَدينَةِ المُنوَّرةِ.

فَقَالَ عُمَر رَضيَ اللهُ عنهُ: يا عَبدَ الرحمَن ، من تَرى أَن نبعثَ إلى العِراقِ لقتَالِ أَعداءِ اللهِ الفُرْسِ؟!

فَقَالَ عَبدُ الرَّحمن: يَا أَميرَ المُؤمنينَ ، هُوَ ذا الأَسدُ فِي بَراثنهِ ، فَارسُ الإسلامِ ، وَصاحِبُ الرَّسول ﷺ ، السَّيِّد المُطاعُ ، والرَّجلُ الشُّجاعُ ، التَّقي النَّقي ، سَعدُ بن أَبي وَقَّاص رَضيَ اللهُ عنهُ.

فَاستدعَى الفَاروقُ عُمَر سعد بن أَبي وَقَّاص ، وأَمَّره على العِراقِ ، وَنصحهُ نَصيحةً رَائعةً جَاء فِيهَا:

يَا سَعِد! لا يَغرَّنَّك مِن الله عزَّ وجلَّ أن قِيلَ: خَال رَسولِ الله ﷺ وَصَاحِبه ، فَإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يَمحُو السَّيىء بالسَّيىء ، وَلكِن يَمحُو السَّيىء بالحَسن ، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ليسَ بينهُ وبين أَحدٍ نَسبٌ إلاَّ بطاعتهِ ، فالنَّاس شَرِيفُهم ووضيعُهُم في ذاتِ الله سَواءٌ ، الله ربُّهم وَهم عبادُه ، يتفاضَلونَ بالعافِيةِ ، ويُدْرِكُونَ مَا عندَ الله بالطَّاعةِ ، فانظرِ الأَمرَ الذي رَأيتَ رَسولَ اللهِ ﷺ مُنذُ بُعِث إلى أَن

فَارقَنا عَليهِ فالزَمْه ، فإنَّه الأَمرُ ، هَذه عِظَتي إيَّاكَ ، إن تَركتَها وَرغبتَ عنهَا ، حَبطَ عَمَلُكَ ، وكنتَ من الخَاسرينَ..

وَبالفعلِ ، انطَلَقَ سَعدٌ رَضيَ اللهُ عنهُ إلى العِراقِ مَعَ الجيشِ الإسْلاميِّ ، وَكانَت وَقعةُ القَادسيَّة.

وَجمعَ سَعْدٌ الجُنودَ ليلةَ المَعركةِ ، وصلَّى بِهم إماماً ، ثمَّ وقفَ يخطبُ ، فَتلا آيات الجهَادِ ، ثُمَّ نَصَحَ وَوَعَظَ ، وَرَكَّز على فكرةِ الخَوفِ من اللهِ والاعتمادِ عَليهِ.

ثُمَّ كَبَّر أَربعاً ، وَقالَ للنَّاسِ: إنِّي ذَاهبٌ إلى ربِّي سَيهدِينِ.. إنَّها يا قَومُ إحدى الحُسنَيَيْن: نَصرٌ مُؤزَّر.. أو جنَّة عَرضُها السَّموات والأَرض..

وَكَتَبَ اللهُ النَّصرَ للمسلمينَ ، وَقُتِلَ قَائِدُ

الفُـرسِ رُسْتُـم ، وَقُتِـل كَبِيـرُ قُـوَّادهِ واسمُـه جَالِينوس.

وَأرادَ سَعـدٌ رَضـيَ اللهُ عنـهُ أَن يُخبـرَ أَميـرَ المُؤمنينَ بالنَّصرِ ، فَكتبَ لهُ كِتاباً جَاءَ فِيهِ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.. وَبعد ، فإنَّ اللهَ عزَّ وَجلَّ نَصَرنَا عَلى أَهلِ فَارِس ، وَمنحناهُم سننَ من كَان قَبلهُم مِن أَهلِ دينِهم ، بَعدَ قِتالٍ طَويلٍ ، وَزلزالٍ شَديدٍ ، وَقد لقَوا المُسلمينَ بعِدَّة لَمْ يَرَ الرَّاؤونَ مثلَ زُهائِها ، فَلمْ ينفعهُم اللهُ عزَّ وجلَّ بذلكَ ، بَل سُلِبُوهُ ، ونقلهُ عَنهم إلى المُسلمينَ ، واتَّبَعَهُم المُسلمون عَلى الأنَهارِ ، وَصفُوف الآجامِ[1] ، وَفي الفجاجِ[2] ، وأُصيبَ من المُسلمينَ سَعـد بـن عُبيـد القَـادريّ ، وَفُـلان ،

---

(١) أي: الشجر الكثيف الملتف.

(٢) أي: الطرق الواسعة بين جبلين.

وفُلان ، ورِجالٌ مِن المُسلمينَ لا يعلمهُم إلاَّ الله ، فإنَّه بِهم عَالِم ، كَانوا يُدوُّون بِالقُرآنِ إذا جَنَّ عَليهم اللَّيلُ كَدويِّ النَّحلِ ، وَهم آسادٌ في النَّهار ، لا تُشْبِههم الأُسودُ ، وَلم يفضلْ من مَضى مِنهُم مَن بَقِي إلاَّ بفضلِ الشَّهادةِ إذ لمْ تُكتبْ لَهم...

كيفَ أسلمَ سَعدٌ رضيَ اللهُ عنهُ؟

ولمَّا انتهتْ حَلقَة التّلفزيون عَن سَعد بن أَبي وَقَّاص.. التفتَ (أَحمَدُ) إلى وَالدتِهِ (أُمّ أَحمَد) وَقالَ: لِماذا لاَ تَكون الحِكَايةُ في هَذهِ اللَّيلةِ عن حَياةِ هَذا البَطلِ الفَارِسِ؟

وَلاقَى اقتراحُ أحمَد قبُولاً من الجميعِ، وَوَافقتْ وَالدتهُ لكنْ شَريطةَ أن يَنتظِروا قَليلاً ، وذَلكَ لتأديةِ صَلاةِ العشَاءِ..

وَبالفعلِ ، قَامتْ أُمُّ أَحمدَ إلى الغُرفَةِ

الدَّاخليَّةِ ، بينمَا انطلقتْ (سَمِيرةُ) وابنةُ خَالتِها (ابتهَال) إلى المَطبخِ لإحضَارِ بَعضِ أَنواعِ الحلويَّاتِ وَبعضِ أَنواعِ المَشروباتِ البَاردةِ.

وَبعدَ نصفِ سَاعةٍ قَالتْ (أُمُّ أَحمَد): وَالآن نَبتدِي الحِكَاية:

وَلمَّا بلغَ سَعدُ بن أَبي وَقَّاص رَضيَ اللهُ عنهُ السَّابعةَ عَشرة من عمرِهِ ، سمعَ بخَبرِ بعثةِ النَّبيِّ ﷺ ، وَأرادَ أن يستفسرَ عَن ذلكَ!

كَيف لا؟ وسعدٌ خَالُ رَسولِ اللهِ؟!

وَفي تلكمُ اللَّيلةِ رأَى في الرُّؤيا كأنَّه فِي ظُلمةٍ لا يُبْصِرُ شَيئاً ، وَفجأةً أضَاء لهُ قَمرٌ.. فاتبعهُ.. فحدَّق قَليلاً. فإذا بَعضُ الرِّجالِ أَمامهُ يَمشونَ وراءَ القَمَرِ ، أَسرعَ الخُطَا ، وَإذا بهِ يَرى: أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيق ، وَعليّ بن أَبي طَالبٍ ، وزيدَ بن حَارِثة رضيَ اللهُ عنهُم أَجمَعِين.

يَقولُ سَعدٌ:

ولمَّـا استيقظـتُ مِـن نَـومِـي ، انطلقـتُ إلـى رَسولِ الله ﷺ فَلقيتُهُ في إحدَى شِعَابِ مكَّةَ ، فَسألتهُ: إلاَم تَدعُو؟!

قالَ: تَشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، وَأنِّي رَسولُ الله.

فقلتُ: أَشهدُ أَن لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وأنَّك يَا مُحمَّدُ رَسولُ الله.

ثُمَّ سألتُهُ: مَن الذي آمنَ بكَ قَبْلِي؟

قالَ: أَبو بَكرٍ وعليّ وزَيد!!

لذلكَ كَان رَضِي اللهُ عنهُ يفتخرُ على النَّاسِ بِقولهِ: لَقدْ مكثتُ سَبعةَ أيَّام وإنِّي لثلثُ الإسلامِ!!

قَالَ: ولمَّا عَلمتْ أُمِّي بِخبرِ إسْلامِي.. وَكنتُ رَجـلاً بَـرّاً بِهـا.. غَضِبـتْ وَهـدَّدَتْ بِطـرْدِي وَمقاطَعَتِي.. لكنَّها لمْ تستفدْ شَيئاً.

فَلجأَتْ إلى أَمرٍ آخرِ ، فَقالتْ: يَا سَعدُ ، إمَّا أن تَدعَ دِينكَ الجديدَ ، أَو لا آكلُ وَلا أَشْرَبُ حتَّى أَموتَ ، فيعيِّركَ النَّاسُ بي ، فيَقالُ: يا قَاتلَ أمّه!

لكنَّ الثَّباتَ على المَوقفِ جَعلهُ يَقولُ لهَا: واللهِ يَا أمَّه لو كَانَ لكِ ألفُ نَفسٍ ، ثُمَّ خَرجتْ نَفْسٌ تلوَ نَفْسٍ مَا رجعتُ عَن دِينِ الإسلامِ!!

فَمكَثتْ أُمّه يَوماً ، ثُمَّ يَوماً ، وَهيَ لا تَأكُل ولا تَشْرَب..

فَلمَّا بانَ عليهَا التَّعبُ والإرهاقُ ، جَاءها سَعدٌ فَقالَ: إنْ شِئت فكُلي ، وَإن شِئْت فَلا تَأْكُلي..

فَلمَّا رَأَتْ إصْرارهُ وَثَباتَه أَكلْتَ .. فَأنزلَ اللهُ تَعالى قَولهُ:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

وهَذَا دَرسٌ عَظِيمٌ في الثَّباتِ على الدِّينِ الحَقِّ.

فِي مَيَادينِ الجهَادِ!!

وَمنذُ اللَّحظاتِ الأُولى لإسلامِهِ ، انطلقَ إلى الحَـرَمِ ليتعبَّـدَ الله ولا يلتفـتَ إلـى الأَصْنـامِ ، وَلا يَخَافَ مِن طَواغيتِ العَهدِ الجاهِليِّ..

وَلمَّا خَرجَ من المَسْجدِ رَآه وَاحدٌ من كِبَارِ المُشركينَ ، فاستهزأَ برسولِ الله وَما يَدعُو إليهِ ، فَمَا كَان من سَعْدٍ إلاَّ أن حَمَل عَظماً ـ وَجدهُ على حافَّةِ الطَّريقِ ـ وَضربَ رأسَ المُشركِ فَشجَّهُ ، فَكانَ أوَّلَ دَمٍ أُريقَ في الإسْلامِ.

كَيفَ لاَ؟ وسَعدٌ عُرِفَ بِصنَاعة النَّبْلِ ، وَكانَ من أَمهرِ الرُّماةِ في ذَلِكم العَهدِ..

ولمَّا كَانتْ غَزوةُ بَدرٍ وَقفَ سَعدٌ رَضيَ اللهُ عنهُ مَوقفَ البُطولةِ والثَّباتِ ، وَكانَ يَضعُ السَّهمَ

فِي القَوسِ وَيقولُ: اللَّهمَّ زَلزِلْ أقدَامَهم ، وَأَرْعِبْ قُلوبَهم ، وافْعَل بِهم ، وَافْعل..

ورَسولُ اللهِ ﷺ يَقولُ: «اللَّهمَّ استَجبْ لِسَعْدٍ».

وَلمَّا كَانتْ غَزوةُ أُحُدٍ كَانتْ لَه مَواقفُ مُشرِّفةٌ ، كَيف لا؟ وَهو الذي يَعرفُ تَماماً كيفَ يُسدِّدُ الهدفَ ، وكيفَ يَفعلُ السَّهمُ فِعْلَهُ في العَدوِّ ، لذلكَ كَانَ رسولُ اللهِ يُشجِّعهُ بقولهِ: «ارْمِ فِداكَ أَبِي وَأُمِّي».

وَمنذُ ذلكَ الحِين أُطْلِق عليهِ: فَارِس الإِسْلام.

وَهَكَذَا شَهِدَ سَعدٌ رَضيَ اللهُ عنهُ بيعةَ الرُّضوانِ ، وغزوةَ الخَنْدقِ ، وَصُلح الحُدَيْبيةِ ، وغَزوةَ خَيْبَر ، وَغَزوةَ بني قُرَيظَةَ ، وَغزوَة حُنَين ، وَغيرها.

وَبعدَ انتقالِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى الرَّفيقِ الأَعلى ، تَابعَ سَعدٌ رضيَ اللهُ عنهُ المَسِيرةَ تحتَ

إمرَةِ أبي بَكْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فكانَ المثالَ الرَّائعَ للفُروسيَّةِ والبُطولةِ وَحبِّ الجهادِ في سَبيلِ اللهِ.

وَفي عَهدِ الفَاروقِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عنهُ ، شَهِدَ الفُتوحاتِ الإسلاميَّةَ ، وَقادَ الجيشَ الإسلاميَّ وَكتبَ اللهُ النَّصرَ على يديهِ ، خَاصَّةً في مَعركةِ القَادسيَّةِ.

وَكذلكَ في فَتْحِ (جلُولاَء) في سَنَة (١٦هـ) ، والتي سُمِّيت فَتحَ الفُتُوح..

ولذلكَ لمَّا طُعِنَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ يُصلِّي بالنَّاسِ إمَاماً.. وأيقنَ أنَّ الموتَ قدِ اقتربَ ، عيَّن مَجلسَ شُورى مُؤلَّفاً من ستَّةِ أَشخَاصٍ ، كَانَ من بينهِم سَعد رَضيَ اللهُ عنهُ.

شَهَاداتٌ مِن نَوعٍ آخَرٍ!!

تَابعتْ (أُمُّ أحمَد) الحكايةَ الرَّائعةَ: يَكفيهِ

أنَّه وَاحدٌ منَ المبشَّرينَ بالجنَّةِ ، ويَكفيهِ أنَّ رسولَ اللهِ شَهدَ لهُ بالصَّلاحِ:

فَقَدْ رَوَتِ السَّيدةُ عَائشةُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرقَ ذاتَ لَيلةٍ.. فَقالَ: «ليتَ رَجُلاً صَالحاً يَحْرُسنِي اللَّيلةَ».

فَما كَانَ من سَعدٍ إلاَّ أن حَمَل سلاحهُ وَقالَ: أَنا أَحرسُكَ يا رسولَ اللهِ..

وَيكفيهِ دُعاءُ رَسول اللهِ في حَجَّة الوَداعِ: «اللَّهمَّ أَذهبْ عنهُ البَاس ، إلهَ النَّاس ، مَلك النَّاس، أَنتَ الشَّافي لا شَافيَ لهُ إلاَّ أنتَ، باسمِ اللهِ أَرقيكَ ، من كلِّ شَيءٍ يؤذيكَ ، من حَسدٍ وعينٍ ، اللَّهمَّ أَصحّ قَلبهُ وجسمَهُ واكْشِفْ سَقمهُ ، وَأَجبْ دَعوتَهُ».

إلى جنَّـةِ الخُلدِ يا خَال رَسول اللهِ

وَهكَذا امتدَّتْ بهِ الحياةُ إلى خِلافةِ مُعاويةَ

رَضيَ اللهُ عنهُ.. ، ولمَّا كانتْ سَنَةُ (٥٥) خَمسٍ وَخَمسِينَ مِن الهجرةِ ، حَضَرَتْهُ الوَفاةُ ، فَأَوصَى ابْنَهُ قَائِلاً:

كَفِّنونِي في هَذهِ الجُبَّةِ الصُّوفيَّةِ القَديمةِ ، فإنِّي لَقيتُ المُشركينَ فِيها يومَ بَدرٍ ، وإنَّما خَبَّأتها لِهَذا اليَوم ، وصلَّى عليهِ المُسلمونَ في المَسجدِ النّبويِّ ، ودُفنَ في البَقِيعِ.

رَضيَ اللهُ عن آخِرِ العَشَرةِ المبشَّرين بالجنَّة ـ وفاةً ـ ، وَرضِيَ اللهُ عن آخِرِ المُهاجِرينَ وَفاةً.. ورضيَ اللهُ عَنه فَارِساً بَطلاً.. وَخَالاً لرسولِ اللهِ ﷺ...

والحَمدُ لله ربِّ العَالمِين